

الفصل الثالث

المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير

حسناً، لنبدأ الأمر مجدداً..

البداية هذه المرة من عند اكتشاف توصلت إليه بالصدفة العجيبة وغير البريئة، إذ اكتشفت أن قلب كلمة **[منهج]** يؤدي إلى كلمة **[جهنم]**. إنه اكتشاف ينطوي على واحد من أعظم المعاني وأصدقها على الإطلاق، فقلب الحقائق وتزييفها في كل معتقدات البشر وأخلاقياتهم لا يؤدي إلا إلى جهنم.

لكم شعرت ببلاغة هذا التحويل اللفظي الرائع والمدهش، في مناسبة مثل هذه التي أعيشها مع سطور وصفحات هذه الدراسة. ولكم ألهمني هذا المعنى البليغ وضاعف من عزمي على انجاز مهمتي، وبلوغ غايتها في منتهاها.

من هنا جاءت تسمية هذا الفصل بـ **"المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير"**.

كان مثلاً بسيطاً للغاية، لكنه وبكل جدية يحاكي المنهجية التي استخدمها رواد نظرية جغرافية التوراة في جمع واستعراض أدلتهم القائمة على التشابهات اللفظية وظواهر القلب والتحويل والتحريك والاستبدال للحروف والأصوات والواحد والزوائد اللفظية وتأثيراتها الصرفية والنحوية على جذور الكلمات ومشتقاتها، والتي قاموا بتطبيقها على أسماء المناطق في عسير وغامد غرب الجزيرة العربية، وفي اليمن أيضاً، وسردوها لنا بكثافة وغزارة شديدة في بحوثهم ومؤلفاتهم، باعتبارها منهجهم الذي توصلوا به إلى إثبات أن جغرافية التوراة في جزيرة العرب، وبالتالي كشف حقيقة التزوير الذي جرى على جغرافية التوراة.

كان من المفترض أن أنتقل في هذا الفصل لمناقشة المقولة الثالثة من مقولات هذه النظرية، وهي المقولة التي تفيد بأن هناك تطابقاً كبيراً ومدهشاً بين أسماء الأماكن والمواقع

الجغرافية التي ترد في التوراة وبين أسماء المناطق والمواقع الجغرافية في جزيرة العرب: (عسير، غامد والسرّة، اليمن)، غير أن ثمة تحول جرى في ذهني انعكس على خطة الدراسة، فقد شعرت بضرورة لفت الانتباه الى العلاقة بين المقولة الأولى عن التزوير الذي طال الأسماء والمسميات الجغرافية، والمقولة الثالثة بشأن تشابه أسماء المواقع الجغرافية بين التوراة ومناطق أخرى خارج نطاق الخريطة الفلسطينية.

أقصد أن هناك ضرورة ملحة لضبط العلاقة بين مسألة **[تزوير أسماء الأماكن]** من جهة، ومسألة **[تشابه تلك الأسماء]** من جهة أخرى. فكل منهما طبيعة خاصة وحساسية متفاوتة المقدار والأثر إزاء مسألة **[المنهج]** الذي اتبعه هؤلاء الرواد في معالجة النظرية برمتها، وإزاء **[النتائج التي توصل إليها علم الآثار]**، لاسيما وقد جرى إحلال تلك التشابهات اللفظية محل الدليل الأثري من قبلهم. فرأيت أن الفصل بين المسألتين سيكون أفضل لو أُنِي راعيت التشبيك الذي رسمت معالمه تلك المقولات الثلاث، والذي حُددت به نقاط التماس بين هذه المسائل الأربع، إذ يمكن لخطوة رباعية كهذه تتم على مرحلتين - في هذا الفصل والفصل القادم - أن تتيح فرصة للتعرف بشكل مستقل على منهج رواد هذه النظرية من الناحية التي تتكشف فيها حقيقة التزوير الذي يقولون به، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تدفع باتجاه التعرف على نتائج علم الآثار في الاتجاه الذي يمكن من خلاله الكشف عن حقيقة التشابه بين الأسماء، وبهذا يتسنى لنا إدراك المسافة الفاصلة وضبط العلاقة بينها جميعاً.

هذا الفصل مكرس لمعالجة وبحث حقيقة التزوير - أي تزوير أسماء المواقع الجغرافية فيما بين التوراة وخريطة فلسطين - من خلال التعرف على طبيعة المنهج اللغوي الذي اتبعه رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب.

بشكل مباشر، تفيدنا معاجم اللغة وقواميس معاني المفردات بأن التزوير من **[زور]** وهو من فعل الزور، أي الميل عن الحق وقول الكذب، أو بالأحرى هو تزيين الكذب وطمس الحقيقة بقصد التضليل، أو هو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ويشمل التزوير كل فعل يغيّر الحقيقة بمحاكاتها. وهذا مفاده أن أساس التزوير هو مضاهاة الحقيقة ومحاكاتها وتقليدها من خلال

تحسين الشيء أو تقويمه بشكل ينتهي به الى صورة أخرى غير حقيقته الأصلية، ويمكن أن يكون التزوير جزئياً أو كلياً، ويمكن أن يكون مادياً أو معنوياً.

ولكن علينا أن نأخذ في الاعتبار دائماً أن التزوير - أي تزوير - لا يتم بطريقة اعتباطية أو عشوائية، بل أنه يرقى الى أن يكون مجالاً له فنونه ومهاراته المتقنة والبالغة التمكن والاحتراف، ومن الناحية العملية لا يمكن إجراء تزوير بدون منهجية متبعة لإجرائه.

بالعودة الى حيث قلت في الفصل الأول من هذه الدراسة، أن منطق الحكمة والعقل يقول، إذا كنا نتحدث عن تزوير مسّ أسماء المناطق الجغرافية التي ترد في التوراة أو في جغرافية فلسطين الواقعية، فلا بد أن نعرف متى حدث هذا التزوير وكيف حدث، ومن الذي قام به وكيف قام به، وكيف جرى تثبيته وكيف يمكننا اثبات وقوعه، واثبات آثاره واستعادة الحقيقة بناءً على ذلك كله. فإن خطتي لهذا الفصل تقتضي أن نتعرف أولاً وبصورة تطبيقية على **المنهج اللغوي** الذي اتبعه رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب في الكشف عن حقيقة التزوير الذي يقولون بحصوله على أسماء المواقع الجغرافية في التوراة، والذي مكن كل واحد منهم من إعادة الأمور الى نصابها بطريقته، وهذا بدوره سوف يساعدنا في إدراك وجهة نظرهم إزاء هذه المسألة..

وليكن الله في عوننا من بعد..

[1]

منهج علمي أم شعوذة لغوية^[١]

عالج الأستاذ كمال الصليبي مسألة المنهج في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، انطلاقاً من التأكيد على موضوعه الرئيسي وهو "التوراة باعتبارها في الأساس نصاً عبرياً-مكتوباً باللغة العبرية"، وباعتبارها في الأصل مجموعة نصوص تاريخية وأدبية ودينية باللغة القدم كتبت بأحرف أبجدية خالية من الحركات والضوابط، ولأن هذه اللغة ابتعدت عن إطار الاستعمال العام منذ قرون طويلة، فإن لا أحد يعرف بالضبط كيف كانت تنطق كلماتها أو بالأصح كيف كانت "تُلفظ وتُصوّت" في العصور القديمة، فضلاً عن المسائل المتعلقة بالتهجئة والصرف والنحو والاصطلاح، ومفردات اللغة العبرية محددة الى حد ما بالكلمات الواردة في النصوص التوراتية^[٢].

ثم أكّد الصليبي على أنه ولقراءة التوراة العبرية وفهمها ينبغي أن يتبع الباحث تقليد العبرية المتأخرة، أو أن يلتزم الإرشاد من اللغات السامية التي مازالت حية مثل العربية والسريانية، لاسيما وأن هذه الأخيرة مازالت قيد الوجود من الآرامية القديمة.

[١]. عبارة "شعوذة لغوية" هنا، مستوحاة مما وصف به المؤرخ والباحث الفرنسي "بيير روسي" منهجيات المستشرقين التوراتيين اللغوية ومعالجاتهم الاشتقاقية التي وظفوها من خلال هذا المنهج لإثبات صحة الرواية التوراتية بشأن تاريخ إسرائيل، حيث أشار الى "وهم معقد ومستمر لشعوذة اشتقاقية لغوية استطاع أن يجر الناس ليروا في العبرانيين وفي ثقافتهم وكأنهم الأجداد الساميين لتاريخ الشرق". أنظر: بيير روسي: مدينة ايزيس - التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة: فريد جحا، الطبعة الثالثة، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤. ص ٢٥.

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٧.

وبحسب الصليبي، فإنه وبفضل [الأمانة العلمية الدقيقة للمُؤرِّين]^[١]، وهم العلماء اليهود التقليديون القدماء الذين ضبطوا النصوص التوراتية بالإشارات الصوتية، فإن النص المكتوب بالأحرف الساكنة للتوراة العبرية وصل إلينا كما هو تقريباً^[٢].

يستمر الصليبي في بيان الأسس التي أقام عليها منهجه اللغوي، قائلاً:

"ما من دين إلا ويعتني الأتقياء والمؤمنون من أتباعه أشد العناية بحفظ نصوصه المقدسة في صيغتها الأصلية، فتستمر هذه النصوص في الوجود دون أي تغيير يطالها عبر الأجيال. الأمر نفسه الذي ينطبق على أسماء الأماكن عموماً، إذ تنتقل هذه الأسماء من جيل إلى جيل بالتوارث التقليدي، ولا تشهد تغييراً، على الأقل في بنيتها الأساسية، مهما مر عليها من زمن. وحتى عندما يتم تغيير في هذه الأسماء في بعض الأحيان عن قصد، فإن الأسماء القديمة تبقى - في معظم الحالات - في الذاكرة الشعبية، وغالباً ما تكون هي الثابتة في النهاية. فمدينة "بعلبك" مثلاً، أطلق عليها الإغريق والرومان اسم "هيليبوليس" لمدة طويلة، لكن اسمها الأصلي "بعلبك" بقي بعد ذلك وثبت عليها، وكذلك "بيروت" و"اللاذقية" وغيرها من المدن التي جرى في ظروف معينة تغيير

[١]. الماسوريين أو الماسوريين، تسمية مشتقة من كلمة (الماسورا) وهذه الأخيرة مشتقة بدورها من الجذر [م س ر]، والذي يعني نقل ووصل، وتشير تسمية الماسوريين إلى من قاموا بعملية النقل/ الترجمة التي جرت للنص التوراتي، وهو النص الذي أصبح بمثابة أحد التقاليد الرئيسية التي تستند إليها الديانة اليهودية، والماسوريين هم الكتبة الذين قاموا بإعداد نسخة موحدة للتوراة، بهدف حسم الخلافات التي كانت قائمة بشأن تعدد نصوصها وتباينها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لا توجد مخطوطة كاملة للنص الماسوري، الذي بدأت عملية نقله في القرن السابع الميلادي وانتهت في القرن العاشر الميلادي، مع التخلص من كافة النصوص القديمة بإقرار كل الطوائف اليهودية. فقد كانت هناك نصوصاً توراتية معتمدة قبل وجود النص الماسوري، والذي مازال محل خلاف بشأنه حتى اليوم، فضلاً عن الاشكاليات التي أثارها اكتشاف مخطوطات قمران أو ما يعرف بمخطوطات البحر الميت في النصف الثاني من القرن العشرين، والتي ظلت محل حجب من قبل المؤسسات اليهودية لعدة عقود ولم يفرج عنها إلا في عام ١٩٨٢، حيث يرى بعض نقاد التوراة إلى أن هذه المخطوطات كشفت عن وجود أخطاء وتحريفات كبيرة في النص الماسوري، بينما رأى التيار المدافع عن مصداقية التوراة أن مخطوطات قمران أثبتت مدى دقة الترجمة الماسورية، وفي كل الأحوال فإن الجدل بهذا الشأن مازال قائماً ولم يحسم بعد. (الباحث)

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٨.

أسمائها لكنها استعادت اسمائها الأصلية بعد زوال تلك الظروف، والأمثلة على ذلك كثيرة^[١].

والصليبي يعتبر أن دراسة أسماء الأماكن تخدم بطريقتها الغرض نفسه الذي يخدمه علم الآثار الميداني، بفارق أن الاكتشافات الأثرية هي اكتشافات خرساء، ما لم تتضمن كتابات منقوشة، في حين أن أسماء الأماكن ناطقة، تخبرنا بما هي وبكيفية نطقها الفعلي، وباللغة التي انبثقت عنها، وفي غياب النقوش الأثرية تبقى الاكتشافات الأثرية صعبة التفسير.. في حين أن أسماء الأماكن لا تقدم معلومات بحجم ما تقدمه المكتشفات الأثرية، إلا أنها تمتلك على الأقل فضيلة اليقين المطلق أو النسبي. وعلى سبيل المثال، فإذا وجد الباحث مجموعة من أسماء الأماكن في غرب الجزيرة العربية، تتحدر من لغة مطابقة بأحرفها الساكنة للعبرية التوراتية أو للآرامية التوراتية، فإنه - أي الباحث - يمكن أن يستنتج أن بلا تردد أن لغات مطابقة أو مماثلة للعبرية والآرامية التوراتيتين كانت تستخدم في القدم للكلام في غرب الجزيرة العربية، وذلك قبل ألفي سنة - أي قبل أن تصبح اللغة العربية هي لغة الكلام السائدة هناك. وإذا أمكن البرهان بأن لعدد كبير من أسماء الأماكن التوراتية مهما كانت أصولها اللغوية، مثائلها الحية في غرب الجزيرة العربية، في حين أن القليل منها لها مثائل في فلسطين، فإن من المعقول طرح السؤال التالي: هل التوراة العبرية سجل لأحداث تاريخية جرت في غرب الجزيرة العربية وليس في فلسطين؟^[٢].

يفترض الصليبي دون أن يكون لافتراضه أي أساس لغوي أو تاريخي - بأن أصول أسماء الأماكن في غرب الجزيرة تعود الى اللغة العبرية، وهذا افتراض لا أساس له في مقابل ما هو متوفر من الأدلة اللغوية التاريخية والأثرية التي تؤكد عروبة جزيرة العرب بحيث أطلق عليها هذا الاسم، وإني لأتساءل علما اعتمد الصليبي في بناء افتراضه هذا بوجود أصل عبري لأسماء المناطق العربية في جزيرة العرب، أو خضوعها لتحولات لغوية فيما بين العربية

[١]. المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦٠.

[٢]. المرجع السابق، ص ٦٠.

والعبرية، إلا أن يكون افتراضه قائماً على التصور اليهودي التوراتي الذي يقول بأسبقية اللغة العبرية على غيرها، فهذا شأن آخر.

يُعرف الصليبي منهجه بأنه: "مقارنة للأسماء السامية القديمة للأماكن التي توردها التوراة بالتهجئة العبرية، مع أسماء أماكن مازالت موجودة في عسير وجنوب الحجاز، وهي أسماء توردها المعاجم بالتهجئة العربية. وهناك ما يقارب (٣٠٠٠) سنة تفصل الصيغ التوراتية لهذه الأسماء عن مثائلها الراهنة. وفي إطار **[التغيرات اللغوية التاريخية]** تبدو هذه الفترة الزمنية طويلة جداً، ولابد أنها استوعبت أكثر من تغير لغوي واحد جرى في بلاد الشرق الأدنى، ناهيك عن **[التحولات]** الطارئة على اللهجات المحكية في كل مرحلة. ولا عجب أن **[الأسماء التوراتية شهدت بعض التحريف]** خلال ذلك، إلا أن المدهش فعلاً هو أن هذه الأسماء بقيت في أكثرها قابلة للتمييز الفوري في زبها العربي الراهن^[١].

يبين لنا الصليبي في سياق شرحه لمنهجه، أنه من الطبيعي أن تكون أسماء الأماكن التوراتية في غرب الجزيرة العربية قد شهدت بعض التغير في إطار علم الأصوات الكلامية وعلم التشكل الكلامي بعد مرور ثلاثة آلاف سنة، ومثال على ذلك يمكن للأحرف الساكنة في العبرية أن تصبح مختلفة في العربية والعكس بالعكس من خلال خاصية **[الاستبدال]** - أي تبدل أماكن الحروف الساكنة داخل الكلمات بين لغتين **[ساميتين]**^[٢]، بل وبين اللهجات المختلفة للغة الواحدة. كما أن بعض الكلمات أو الأسماء يمكن أن تتعرض للتحريف الناجم عن التقديم الكتابي، فالأبجدية السامية في الأصل تألفت من (٢٢) حرفاً ساكناً بما فيها الهمزة، والواو والياء، لكن نتيجة اختلاف النطق بين اللغات هذه، فقد كانت تُعتمد حروفاً كثيرة فيها أكثر من

[١]. المرجع السابق، ص ٦١.

[٢]. مصطلح الشعوب السامية واللغات السامية، صار محل انتقادات شديدة من قبل الكثير من الباحثين في الغرب وفي المنطقة العربية، إذ أنه بالأساس مصطلح مخترع حديثاً من قبل أحد المستشرقين اليهود، كما أنه مستوحى من النظرية العرقية التي تقدمها الرواية التوراتية. فقد انتقدها ورفضها بشدة بعض رواد نظرية الصليبي، وفي مقدمتهم الباحث السوري الأستاذ أحمد داوود، واللبناني الأستاذ فرج الله صالح ديب، وكذلك الفلسطيني الأستاذ أحمد الدبش. (الباحث)

الحروف التي تحددها الأبجدية، وكان الناس يعون العلاقة بين أحرف النطق وأحرف الكتابة هذه عن طريق الحدس. ثم في مراحل أخرى تمت عملية زيادة حروف الأبجدية في بعض هذه اللغات من خلال عملية التنقيط أو ما شابه، وصار الاعتماد على الأبجدية أكبر في نطق الكلمات المكتوبة، ونتيجة لذلك كله، فقد يحل حرف في اللغة العبرية محل حرف آخر في اللغة العربية^[١].

جدول (١): الحروف التي تخضع لقواعد الاستبدال بين اللغتين العبرية والعربية كما وضحاها كمال الصليبي	
الحروف العربية	الحروف العبرية
و، ي	ء
غ، ق	ج
ذ، ز، وأحياناً ت، ض، ظ في اللفظ العامي	د
ء، ي	و
ذ، ص، ض، ظ	ز
خ	ح
ت	ط
ء، ي	ي
خ، ق	ك
ن (في لاحقة جمع المذكر خاصة)	م (في لاحقة جمع المذكر خاصة)
م	ن
غ	ع
ث	ف
س، ض، ز، ظ	ص

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢١ - ٢٢.

ق	ج، غ، ك
ش	س، ث
س	ش
ت	ث، ط

وبحسب الصليبي، تبقى أربعة حروف عبرية (ب، هـ، ل، ر) لا تتحول الى حروف أخرى عربية، بل تبقى هي نفسها في الجذور المشتركة بين اللغتين، وكذلك حرف (س السامك) بالعبرية يبقى سينا بالعربية، وقد يتحول الى (ص) في اللفظ، وربما الى (ز)، ولا وجود للتاء المربوطة (ة) والألف المقصورة (ى) في العبرية ويستعاض عنهما كلاحتي التأنيث بالهاء (هـ)، وهاء التأنيث العبرية تتقلب (ت) عادية.

المصدر: كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

ومن الظواهر التي تجري على الكلمات والأسماء بين اللغات السامية، تلك المتعلقة بأدوات التعريف، فكثيراً ما ينقلب حرف (ل) في أسماء الأماكن التوراتية مهما كان موضعه في الكلمة، الى (أل) التعريف في الاسم المعرب، على نحو^[١]:

[جلعد] (عبرية) ——— تحول الى ——— [الجعد] (عربية).

[لمعه] (عبرية) ——— تحولت الى ——— [المعلاة] (عربية).

وأيضاً أداة التعريف العبرية (هـ) تتحول الى (ال) التعريف في العربية.

وهناك أسماء الأماكن التوراتية على وزن (يفعل/ تفعل) تتحول الى العربية على وزن (فعل/ فعله)، على نحو^[٢]:

[يقطن] (عبرية) ——— تحول الى ——— [قطن] (عربية).

[١]. المرجع السابق، ص ٢٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ٢٣.

[تغنك] (عبرية) ——— تحولت الى ——— [غنقه] (عربية).

ويمكن أن تكون المقابلة بين الألفاظ دون النظر في لواحقها وأحرف العلة، على نحو^[١]:

[شمرون] (عبرية) ——— تحولت الى ——— [شمرون/ شمرون] (عربية).

[شبعه] (عبرية) ——— تحولت الى ——— [شبع/ شباة] (عربية).

اعتماداً على هذا المنهج في مقابلة الأسماء "عشر الصليبي على كامل الأرض التوراتية في غرب الجزيرة العربية، ويمكن اعطاء أمثلة على نتائجه في مجموعتين، المجموعة الأولى مقابلات يمكن النظر فيها، أما المجموعة الثانية فجاءت نتائجها نتيجة عمليات معقدة من القلب والاستبدال"^[٢].

عموماً، يمكن التعرف على طبيعة النتائج التي توصل إليها الصليبي من خلال تطبيق منهج مقارنته اللغوية بين الأسماء التوراتية وأسماء المناطق التي وجدها بالصدفة في منطقة عسير غرب الجزيرة العربية، في ضوء ما يبينه الجدول التالي.

جدول (٢): نماذج من المقابلات والمقارنات اللغوية للأسماء التوراتية وأسماء المناطق في عسير كما قام بها الصليبي	
اسم المكان التوراتي	اسم المكان المقابل في غرب الجزيرة العربية
المجموعة الأولى	
جرار/ جرر	القرارة
كنعان/ كنعن	القناع
غزة/ غز	آل عزه
صيدون/ صيدن	آل زيدان

[١]. المرجع السابق، ص ٢٤.

[٢]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب - نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، مرجع سابق، ص ١٢.

صور / صُر	زور الوادعة
جبيل / جبل	القابل
قادش / قدش	عين قديس
سدوم / سدم	دامس
عمورة / عمرة	الغمر
مجدو / مجد	مقدي
يافو / يف	وفيه
المجموعة الثانية	
نتينيم / نتين	طناطن
طباعت / طبعت	العثايات
برقوس / برقس	الكرياس
هسوفرت / هـ-سفرت	رصفه
ادونيقام / عد-نيقم	القائم
فرعوش / فرعش	الجعافر
مغبيش / مجبيش	مشاجيب
زكاي / زكي	الضيق
نفتوحيم / نفتحيم	المفاتيح
فتر وسيم / فتر سيم	الشرفات
كفتوريم / كفتريم	الرفقات
عقرون	الجرعان
اورشليم	آل شريم
المصدر: فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم - هل جاءت التوراة من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢ - ١٣.	

وعندما لم يجد الصليبي مقابلاً لبعض الأسماء التوراتية، عمد الى الجمع بين اسمين لموقعين متجاورين في غرب الجزيرة واعتبرهما معاً مقابلاً للاسم التوراتي، على نحو^[١]:

[كركميش] ——— حددها بموقعين هما ——— [القر]، [القماشة].

[أورشليم] ——— حددها بموقعين هما ——— [أروي]، [آل سلام].

وفي إحدى الطرق التي اتبعها كمال الصليبي وفق منهجه اللغوي هذا، ما استخدمها عند تفسيره لاسم **[ملكي صدق]** الذي يرد في التوراة متعلقاً بشخصية النبي ابراهيم، فالمعنى السائد لهذا الاسم أنه اسم علم لشخصية تاريخية، لكن الصليبي يستنبط له معنى جديداً تماماً مخالفاً لكل التفسيرات الموسوية (اليهودية) والمسيحية، حيث أصبح معنى الاسم بحسب منهجه اللغوي **[الوك صدق] أي "ما يؤكل من الطعام"**^[٢]!!..- وقد اعتبر الصليبي تفسيره هذا بأنه كشف عظيم.

جدير بالذكر أن الصليبي طالب بتطبيق هذا المنهج ليس على التوراة فحسب، بل وعلى السجلات القديمة المصرية والعراقية التي تشير الى الأسماء التوراتية، فأكد على ضرورة إعادة قراءتها بعيداً عن التأويلات الجغرافية والطوبوغرافية القائمة، وبعيداً أيضاً عن أعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسيكيين التي قد تكون مساعدة^[٣].

يبدو حتى الآن، أن الصليبي لا يرى حدوث أي تزوير في أسماء الأماكن التوراتية، وأن الأمر برمته ناتج عن التحولات اللغوية التي طرأت على تلك الأسماء في مناطقها الأصلية، وعوامل أخرى تاريخية مثل **[فقدان الذاكرة الجمعية لشعب اسرائيل]**، والذي أدى الى نسيانهم حقيقة أرضهم الأولى، ثم حدث أن هذا الشعب انقرض وباد، في حين بقيت الديانة اليهودية الى ما بعد مرحلة السبي البابلي، وعندما عاد اليهود **[معتنقي الديانة اليهودية]** الى أرض اسرائيل الأولى في غرب الجزيرة العربية لم يجدوا فيها أسباباً للعيش، فساحوا وتشتتوا في الأرجاء

[١]. المرجع السابق، ص ١٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٤.

[٣]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٧١.

وارتحلوا الى فلسطين واستقروا بها، وهناك قاموا بإحياء ما علق بذاكرتهم من تلك الأسماء لمناطقهم الأصلية وأطلقوها على مناطقهم الجديدة، ومن ثم تمكنوا في مرحلة ما من تاريخ وجودهم في فلسطين من إقامة دولة لهم فيها ابتداء من سنة (١٤٠ ق.م)، ومن بعد ذلك كله ساد الاعتقاد بأن جغرافية التوراة هي فلسطين^[١].

أدعو القارئ العزيز هنا، الى الاحتفاظ بالفكرة السابقة التي رسم بها الصليبي مسار تاريخ بني اسرائيل كمرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية، ثم انقراضهم وبقاء الديانة محمولة على كاهل معتنقيها من غير بني اسرائيل، بحيث لم يعد هناك أي سبب للحديث عن أي اثنية مرتبطة بها في مراحلها التاريخية اللاحقة، لأن هذه الفكرة ستقودنا لاحقاً الى استنتاجات صادمة للغاية.

بيد أن الصليبي وقد أشاد بالأمانة العلمية للماسوريين، لم يُمانع في القول باحتمال أن هناك تلاعباً أو شيئاً من هذا القبيل قد وجد في متن النص التوراتي، فقد أشار في سياق محاولته فك طلاسم إحدى الأحجيات التي صادفها باستخدام منهجه اللغوي، الى تلاعب كامن في بنية النص التوراتي نفسه، وليس أنه واقع عليه. فالطريقة التي كُتبت بها بعض الأسفار انطوت على تلاعب كلامي أو ما شابه، من شأنه أن يضلل عن حقيقة الأماكن المقصودة بالفعل:

"ولعل هناك تلاعباً بالكلمات قد جرى في بعض النصوص التوراتية، والتي كثيراً ما تحاول أن توحي معاني لأسماء الأعلام والأماكن عن طريق هذا التلاعب الكلامي، خصوصاً في الأسفار التي تعالج فترات ما قبل التاريخ، والتي تعنى بالأساطير أكثر من واقع الأحداث"^[٢].

كان هذا توضيحاً موجزاً لمنهج الصليبي، ومن ثم فقد سار الباحث اللبناني "زياد مني" على وقع خطوات الصليبي ومنهجه، مقررًا أن:

[١]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب - نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، مرجع سابق، ص ١٨ - ١٩.

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢٨.

"ظاهرة الاستبدال والقلب بين العبرية والعربية لا تنحصر في الكلمات والمفردات المتداولة يومياً فحسب، بل إنه لا يمكن الاستغناء عنها عند التعرف على الأسماء، سواء الوارد منها في العهد القديم (التوراة)، أو في أي نقوش سامية أخرى"^[١].

وبعد أن أورد "زياد منى" عدداً من الأمثلة التي وضح من خلالها كيف طُبِّقت ظاهرتي **[القلب والاستبدال]** من قبل **[علماء الاختصاص]**، وخشية منه على ألا يصاب القارئ بالملل من سرد المزيد من الأمثلة، فقد أكد على أن:

"جميع ما ساقه من أمثلة يُعدّ كافياً لتوضيح أن **[علماء التوراة]** يوظفون هذه الظاهرة اللغوية بشكل روتيني، أي أن هذا هو جزء من منهجية علمية لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هذه الأبحاث المعقدة، وأن ما يحق لأهل الاختصاص توظيفه من منهجية، يجوز لغيرهم من العاملين في المجال نفسه، وبلا حرج"^[٢].

لم يتعرض "منى" لمسألة التزوير أو التلاعب، بل لم يكرس أي اهتمام لهذه المسألة، معتمداً في ذلك على ما أسسه الصليبي، وهذا ما يدفعني إلى القول بأن "الصليبي ومنى" لا يقولان بحدوث تزوير متعمد في الأسماء الجغرافية التوراتية، بل يؤكدان بشكل أو بآخر على أن الأمر ناتج في الأساس عن أسباب لغوية وتاريخية، ثم عن قراءة خاطئة للنصوص التوراتية، ساهمت في تعميقها القراءات الاستشراقية.

على خلاف الصليبي الذي بنى منهجه دون أن يوضح لنا المصدر الذي اقتبسه منه، يبين لنا "منى" أن هذا المنهج هو بالأساس ما طبقه علماء الاختصاص أي علماء التوراة، ولعل هذا الأخير تبني وجهة نظر استأذ الصليبي بشأن التلاعب الكلامي الكامن في بنية النص التوراتي، والذي صار بالإمكان اكتشافه بفضل هذه المنهجية.

انتقالاً إلى البحث عن طبيعة المنهج الذي اتبعه الباحث السوري "أحمد داوود"، لا بد من توضيح أمراً مهماً بشأن مساهمة أحمد داوود في هذه النظرية من الناحية العامة. إذ يمكن القول

[١]. زياد منى: جغرافية التوراة: مصر وبنو إسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ٣٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ٣٨.

بأن داوود قد شق له طريقاً مختلفاً تماماً عن سائر رواد النظرية، إن لم يصدق عليه القول بأنه كَوّن لنفسه نظرية تكاد تكون مستقلة بالفعل، لولا تلك الحلقة التي ربطت نظريته بنظرية الصليبي والآخرين، والمتمثلة في اتجاهه الى إعادة قراءة التوراة والسجلات الأثرية وفق قواعد منهجية مغايرة للقواعد التي أرساها المستشرقون وعلماء الآثار الغربيون المنحازون دوماً للصهيونية- من وجهة نظره. عدا ذلك نجد لدى داوود جهداً مختلفاً تماماً، انطوى على مضمونات كثيرة تستحق بالفعل الوقوف عليها.

لم يخرج داوود في الشكل العام عن الفكرة الرئيسية لمنهج المقابلات اللغوية، لكنه تفرد في طرائقه التي اختصها لنفسه، ومرجعياته اللغوية والتاريخية والأثرية التي اعتمدها في دراساته، ناهيك عن التوجه العام لنظريته والذي يتسم بطابع مميز تماماً عما مال إليه الرواد الآخرون.

بيد أننا إذا ما ركزنا على الجانب الذي يتفق فيه داوود مع أولئك الآخرين، فس نجد أنه قد عبّر عن واحدة من أهم الحقائق الثابتة التي قررها هو، وحدد طبيعة التزوير الذي جرى على جغرافية التوراة، كالاتي:

"الحقيقة التاريخية والجغرافية في مدونات التوراة شيء والتفسير الاستعماري - الصهيوني للأحداث ولجغرافيتها شيء آخر، إنه بكلمة تزوير فادح وواضح، وأن المكتشفات الأثرية والدراسات العلمية الموثقة قد أكدت هذه الحقيقة وفضحت التزوير. ومن الحقائق أيضاً أن الصورة التاريخية والجغرافية- كما هي في التزوير الصهيوني، هي السائدة اليوم والمعممة في جامعات الغرب، وهي نفسها ما يُدرّس في الجامعات العربية، ضاربين عرض الحائط كل ما قالته المكتشفات الأثرية، ومغمضين البصر والبصيرة عن الأغراض السياسية الاستعمارية للصهيونية القابعة ذلك التزوير"^[١].

نفهم من كلام داوود - حتى الآن على الأقل - أن التزوير لم يقع على النص التوراتي بل على قراءتها وتفسيرها من قبل المستشرقين الذين عملوا على الدوام في خدمة المشروعات

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ٩٢.

الاستعمارية والصهيونية، وبدلاً من أن تُحال الأحداث التاريخية في التوراة أثناء عملية قراءتها وتفسيرها الى موطنها الحقيقي وهي منطقة "غامد" في غرب جزيرة العرب، تم إحالتها الى جغرافية أخرى وهي جغرافية فلسطين.

ومع ذلك، فإن "داوود" يضيف الى هذا الفهم أموراً أخرى تفيد بأن النص التوراتي بالفعل قد تعرض لعمليات تزوير عديدة:

"التوراة التي بين أيدينا ليست هي توراة موسى الأصلية.. وكما هو ثابت لدينا فقد وضعت هذه التوراة وجمعت لأول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد- بعد زمن موسى بألف عام، ثم خضعت للترجمة الى لغات متعددة منها السريانية وبقية اللغات الأخرى في العالم. كما أضيفت للتوراة أسفاراً أخرى في مراحل تاريخية متعددة، وما تزال حتى اليوم تخضع من طبعة الى أخرى لعمليات تزوير في جغرافية ينبغي أن ألا يغفل عنها أي دارس متمعن حصيف. فـ "بحر" عربيت، الذي كان اسماً لنهر الفرات حين مروره في بركة شبه جزيرة العرب صار البحر الميت، وبحيرة "كناروت" في الموضع نفسه صارت بحيرة طبريا، وبيت صور- الذي هو اسم شخص- صار مدينة صور.."^[١]

يتضح مما تقدم ومن الأمثلة التي قدمها داوود في النص السابق، أن منهجه لا يخرج عن نطاق المنهج اللغوي الذي رسم معالمه الصليبي، غير أنه يجعل مقارناته اللغوية بين التوراة بنصها الآرامي- وليس بنصها العبري- وبين القاموس الكلداني، فيعالج على سبيل المثال معنى كلمة "فلسطين"، على النحو الآتي:

"إن الكلمة هي في الأصل "فلستيم" أو "فلشتيم" وهي جمع "فلستو" وتعني في العربية القديمة: المحارب، المقاتل، الثقاب.. الخ. وهي فلشتو" في القاموس الكلداني"^[٢].

[١]. المرجع السابق، ص ٩٤.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٠٦.

وفي سياق متصل، يرسم داوود مساراً تاريخياً طويلاً لعملية التزوير التي حصلت وتكرر حصولها في جغرافية التوراة، وأن الأمر برمته يدخل في نطاق ما قام به على الدوام من وصفهم بـ **[مزوي التاريخ]** دون أن يحدد لنا بالضبط منهم:

"ما حدث هو أن **[مزوي التاريخ]** نقلوا جغرافياً الأحداث التوراتية من منطقتها على وادي الفرات في غامد من شبه الجزيرة العربية، وهي برمتها عربية صميّة، الى سوريا الغربية- أي فلسطين، فجعلوا من عشيرة المصريين بلاد وادي النيل، ومن عشائر الكنعانيين والفلسطينيين جنوب سوريا، ومن عشيرة بني حث الكنعاني في أعالي الفرات **[الثرات- أصل تسمية الفرات كما يقرر داوود]** شعباً هندو أورياً في شمال سوريا، ومن عشيرة الفلسطينيين شعباً بحرياً وغريباً عن المنطقة"^[١].

ولكي يتضح الأمر أكثر بشأن رؤية داوود لحقيقة التزوير الذي حصل، والذي كشفته أولاً المكتشفات الأثرية، وبناءً عليها أقام هو نظريته المختلفة لحقيقة التاريخ والجغرافيا التي تحددها التوراة، لابد من التنويه الى أنه يرى أن عملية التزوير هذه بدأت منذ نشأة اليهودية كدين عندما حاولت آنذاك هذه الديانة أن تربط نشأتها بإبراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل) وبنيه- الذين هم من الأرومة العربية بلا شك عند داوود، ثم جاءت الحركة الصهيونية حديثاً وجعلت كل من ينتمي لليهودية من شتى الأعراق والأجناس ينتسبون الى بني يعقوب- أي الى بني اسرائيل^[٢].

بناءً على هذه القناعات وغيرها يُعيد الباحث السوري "أحمد داوود" تحديد مسرح أحداث التوراة في **[غامد غرب الجزيرة العربية]**، فيجد وفق منهج مقارناته اللغوية بدائل لـ **أريحا ولبنان وسعير وأدوم ونهر الأردن.. وغيرها** من الأماكن التوراتية في مسرحه التوراتي الجديد.

تدعو الحاجة الى التأمل في منهجية المفكر العربي "فاضل الربيعي". فهي بالأساس منهجية لغوية منبثقة عن نفس المنهج اللغوي الذي قال به الصليبي والمستمد أصلاً من مناهج

[١]. المرجع السابق، ص ١١٤.

[٢]. لم يحدد أحمد داوود في هذا النص من هم الذي ابتدعوا الديانة اليهودية، لكنه يرى أنها في الأساس لا علاقة لها ببني اسرائيل (أبناء يعقوب بن ابراهيم)، والذين كانوا على دين التوحيد الابراهيمي على حد قوله في موضع آخر. المرجع السابق، ص ١٢٦.

المستشرقين التوراتيين، كما رأينا مؤخراً في تصريح لـ "زياد منى"، وكما سبق أن تبين لنا في الفصل الأول. أما كيف أقام الربيعي منهجه. فقد حكى أنه ذات مرة "التفت الى كتاب "صفة جزيرة العرب"، حيث لاحظ أن الهمداني كان يصف في كتابه هذا جغرافية التوراة التي يحفظ الربيعي أسماءها عن ظهر قلب، والتي وجدها لدى الهمداني كما هي في التوراة دون تلاعب. ولما عاد- أي الربيعي- الى التوراة بترجمتها العربية تأكد من الأمر، لكنه لم يقتنع وبدأ بسلسلة قراءات في هذا الصدد حتى تكونت لديه قناعة تامة بأن اليمن هي مسرح أحداث التوراة"^[١].

انتهى الربيعي بعد ذلك الى ضرورة العودة الى النص التوراتي العبري، فعكف على دراسة اللغة العبرية لسنوات من عمره بحث فيها عن الجذور الحقيقية لهذه اللغة، وتعرف على ذلك التماثل المثير الذي لم يقتصر فقط على الألفاظ من حيث طريقة نطقها فحسب، بل وحتى في أشكال رسم الأسماء في اللهجات اليمنية القديمة والعبرية"^[٢].

يصف الربيعي منهجه بأنه: "عرض النص التوراتي بلغته الأصلية مع ترجمته هو - أي ترجمة الربيعي للتوراة- وهي على حد تعبيره ترجمة أمينة الى أقصى حد ممكن، وخصوصاً للقوائد والمراثي التي كتبها أنبياء التوراة وشعراء اليهودية، ممهداً السبيل أمام وصف الهمداني للمواضع ذاتها وبالأسماء ذاتها، ثم استخدم الربيعي توصيف شعراء الجاهلية للأماكن نفسها، من حيث سجلوا في أشعارهم معظم أسماء المواضع الواردة في التوراة، وبهذه المنهجية سوف نرى الأساطير التي نسجها المستشرقون الأوروبيون، منذ مطلع القرن الماضي عن فلسطين التوراتية، والتي أدت الى بزوغ فلسطين أخرى لا وجود لها إلا في المخيال الاستشراقي، وأن فلسطين الحقيقية أو أرض التوراة ليست إلا اليمن"^[٣].

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٤.

[٢]. لم يوضح الربيعي حتى الآن- على الأقل فيما اطلعت عليه من مؤلفاته- ذلك التشابه الذي رآه في أشكال رسم الأسماء في اللهجات اليمنية القديمة والعبرية، وهو بلا شك يقصد أن هناك تشابهاً بين أشكال رسم الحروف الأبجدية بين خط المسند السبئي- الحميري والكتابة العبرية...!!- المرجع السابق، ص ١٨- ١٩.

[٣]. المرجع السابق، ص ١٩.

أما رؤية الربيعي للتزوير الذي حصل، فمن الصعب توصيفها نظراً لعدم تركيزه في معالجة هذه المسألة بشكل متسق، فله في كل مقام في كتبه ومؤلفاته توصيفاً مختلفاً ومتناقضاً مع التوصيفات الأخرى، وقد وجدت له نصاً بالغ الأهمية يكشف عن روح تلك التناقضات، يقول فيه:

"إن التوراة التي بين أيدينا اليوم هي نتاج تلاعب بالأسماء الحقيقية أسفرت عنه نشاطات الاستشراق الكلاسيكي، وأن جهود أجيال من المؤرخين وعلماء الآثار التوراتيين والدارسين والكتاب انتهت - كلها - الى تزوير الكثير من مرويّات التوراة وتأويلها تأويلاً مغلوّطاً، وأن كل ما ورد من أسماء لأماكن ومواضع وشخصيات وأسماء وقبائل لا وجود لها البتة في التاريخ الفلسطيني، والهمداني أثبت ذلك في عصره"^[١].

يرى الربيعي أن التزوير ذو طابع مزدوج من حيث طال النص التوراتي وطال قراءته وتفسيره أيضاً، وبالتالي فإن هذا كافياً لاعتبار كل الجهود التي بُذلت من قبل كل الباحثين والدارسين مطعونة في شرفها وصدقها، لأنها قائمة على هذا التزوير نفسه، وبناءً عليه يرفض الربيعي القبول بأي شيء من تلك الجهود السابقة، وأنه لا يمكن الاعتداد بها، ومثلاً:

"فإن من الصعب إيجاد رابطة لغوية أو جغرافية أو تاريخية، بين الاسم التوراتي (ها - يردن) ونهر الأردن. ولئن وجدت، وبالعكس من إرادة البحث التاريخي النزهي، مثل هذه الرابطة الواهية والشكلية وغير المبرهن عليها، فإنها لن تكون سوى صورة زائفة من صور المطابقات المخيالية التي ربطت بين قصص التوراة وفلسطين"^[٢].

[١]. المرجع السابق، ص ٢٥١.

[٢]. يعتبر الربيعي أن تطبيق قاعدة معترف بها من قبل جميع علماء فقه اللغة المقارن، وهي قاعدة تبادل أدوات التعريف بين العربية والعبرية، والتي تتحول بموجبها التسمية العبرية (ه - يردن) الى صيغتها العربية (الأردن)، بأنها مجرد رابطة واهية وشكلية وغير مبرهن عليها. علماً بأن معظم رواد نظريته قد صادقوا على هذه القاعدة. ويعزى موقف الربيعي هنا الى تشدده في رفض كل شيء يخالف منهجه أو يؤدي الى نتائج لا تتفق مع تفسيراته. المرجع السابق، ص ٥٠٢.

لم يعرف تاريخ العلم الحديث والمعاصر أحداً تحدث بلغة العلم وباسم الحقيقة وأخلاقيات المعرفة والبحث العلمي، بهذه اللغة المتطرفة التي تحدث بها الربيعي، حتى المستشرقين وعلماء الآثار التوراتيين اليهود وهم الأكثر تعصباً وتطرفاً لم يتبنوا موقفاً كهذا. فليس ثمة طرح نزيه وأمين إلا طرح الربيعي وما عداه ليس إلا زيف ومخيال استشراقي.

بالنسبة لي، لا أعرف أي منطق يقف وراء آراء الربيعي هذه، ولا أستطيع أن اتصور أن ثمة منطقاً يسمح بقبول ذلك. فما يتميز به منهج الربيعي ليس إلا نزعته الأحادية المتطرفة، فالتوراة ترجمها هو ولا ترجمة نزيهة في نظره سواها، والهمداني والشعر الجاهلي فسر مضموناتها هو، كما أن له قراءاته وتفسيراته للنقوش والسجلات الأثرية، التي لا يقبل بغيرها أو بغير ما يتفق معها. وبعد ذلك كله يخبرنا مفكرنا بأنه اعتمد على التشابه السليم بين الأسماء، انطلاقاً من موقفه الرافض لتطبيق طرائق القلب والاستبدال التي طبقها من سبقوه في هذا المجال.

بالنسبة لبقية رواد النظرية الآخرين، فالبعض منهم اعتمد تطبيق المنهج الأصلي للصليبي، فيما اكتفى البعض الآخر بالاعتماد على التشابه السليم بين الأسماء، واللجوء أحياناً إلى نقل معاني الأسماء من لغة إلى أخرى، ولا داعي للتفصيل فيما ذهب إليه كل منهم، نظراً لاستيعاب جميع أبعاد المسألة فيما تقدم.

خلاصة الأمر حتى هذه النقطة، هو أن جميع رواد النظرية قد اعتمدوا بشكل مباشر على [منهج دراسة التحولات والجذور اللغوية] وإن كانت أغلب تطبيقاتهم لا ترقى إلى التطبيق الفعلي لهذا المنهج، بقدر ما كانت مجرد مقارنات ومقابلات لفظية لا أكثر، تعتمد على التشابه الظاهر أو على إمكانية تطبيق بعض قواعد القلب والاستبدال التي طبقها المستشرقون، وهدفوا جميعاً من ذلك إلى ما وصفوه بالوصول إلى جذور الأسماء التوراتية في اللغة العبرية واللغة الآرامية والسريانية، فضلاً عن العربية، وهم بذلك يعتبرون أن تطبيقاتهم المختلفة لتلك المقارنات بأنها منهج لغوي يرقى في نتائجه إلى مستوى نتائج علم الآثار - كما صرح بذلك رائد النظرية الأول كمال الصليبي - وله قواعده العلمية وأساسه ومركزاته الوثيقة، ومن ثم فإن النتائج التي توصلوا إليها وفق هذا المنهج جديدة بالنظر.

أما فيما يتعلق برؤيتهم لحقيقة التزوير الذي جرى في جغرافية التوراة، فقد تباينت آرائهم وتفسيراتهم لهذه المسألة، بين ما قال بأن التزوير طال النص التوراتي في العصور القديمة وتكرر وقوعه دوماً في مراحل تاريخية لاحقة، ومن قال بأنه ناتج فقط عن القراءة الخاطئة للتوراة والتي أدت الى تكوين وتعميم وإشاعة فهم محرف ومزيف للنص التوراتي، نجم عنه تحريف حقيقة جغرافية أحداثه بإسقاطها على فلسطين، وجميع التفسيرات التي طرحوها تظل عاجزة تماماً عن إيضاح هذه المسألة، فضلاً عن تناقضات آرائهم فيها والتي لا نخرج منها الى نتيجة حاسمة بأي شكل من الأشكال.

[2]

مشروع تهويد الجغرافية الفلسطينية^[١]

”نموذج تطبيقي“

تأكد لنا فيما سبق وبما لا يدعو الى الشك أو ينزع بنا مرة أخرى الى الارتباب، أن منهج دراسة التحولات اللغوية التي تجري على الألفاظ والمسميات فيما بين لغتين أو أكثر في مراحل تاريخية، والذي طبقه الصليبي وسائر رواد جغرافية التوراة من الباحثين العرب في معالجة هذه النظرية، هو في الأساس -وبإقرار هؤلاء الرواد أنفسهم- منهج ابتكره المستشرقون التوراتيون في نطاق تأسيسهم وتطويرهم لحقل الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة، كما أن هذا المنهج قد طبق بالفعل من قبل مستشرقين وباحثين أوروبيين ويهود للبحث عن مواقع الأماكن التي ورد ذكرها في التوراة، وذلك في نطاق جغرافية الشرق الأدنى كلها- أي جغرافية العراق وسوريا وفلسطين ومصر - وليس في فلسطين وحدها.

تفيدنا مراجعة التاريخ، بأن فلسطين منذ القرون الأولى بعد الميلاد كانت تحت سيطرة الرومان غالباً حتى القرن السابع الميلادي، ومن ثم دخلت تحت عباءة دولة الخلافة الإسلامية لقرون طويلة، قبل أن تعود مجدداً وتقع تحت سيطرة الصليبيين الأوروبيين لقرن من الزمان أو أقل من ذلك قليلاً، ثم استعادتها من قبل المسلمين في عصر الدولة الأيوبية، ومن ثم دخولها في حكم المماليك وانتهاءً بخضوعها لحكم الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى في

[١]. اعتمدت في هذا الفصل بالذات على مصادر موثوقة ومعتزفة بها من قبل الدوائر الرسمية للسلطة الفلسطينية، فضلاً عن أن أغلبها لباحثين فلسطينيين متخصصين في مسألة الأسماء والأعلام الجغرافية الفلسطينية، ولهم جهودهم المشكورة في توثيق عمليات تهويد تلك الأسماء من قبل الكيان الإسرائيلي. فقد حرصت منذ بداية هذه الدراسة على أن تكون اقتباساتي وثيقة وحرفية قدر اللزوم والإمكان، وألا يخدشها أي تصرف أقوم به أو يفقدها جوهريها الموضوعي الذي تنطق به في مواقعها الأصلية، كما حرصت على أن تكون الاقتباسات سليمة من البتر المقصود وغير منزوعة من سياقاتها، فجعلت كل منها في سياق مقارب للسياق الذي أخذته منه، وفصلتها جميعاً عن تعليقاتي. ولا يسلم عمل المرء مع ذلك من الزلل والقصور. (الباحث)

مطلع القرن العشرين، إذ وقعت بعدها تحت سلطة الانتداب البريطاني والذي سمح لليهود بالاستيطان في أجزاء منها أولاً تنفيذاً لوعده بلفور الشهير عام ١٩١٧، ثم السماح لهم بالتوسع الاستيطاني حتى إعلان قيام دولتهم عام ١٩٤٨، وبقيّة القصة نعرفها.

خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة جداً، وبالتحديد الى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، كانت الفاعلية اليهودية على أرض فلسطين غائبة تماماً، ولا يمكن الحديث عن أي تحريف أو تزيف يمكن أن يكون قد طال جغرافية فلسطين بالنسبة للتوصيف الجغرافي الذي يرد في التوراة، اللهم إن شاء البعض منا أن يفترض احتمالاً - لا قطعاً - أن يكون التزوير قد وقع على النص التوراتي، فهذا أمر آخر لأن التوراة خضعت بالفعل ومازالت تخضع لعمليات التدخل في نصها بطرق وأشكال مختلفة منذ قرون طويلة، ولكن يجب أن يأخذ بالاعتبار كل من يتبنى هذا الاحتمال أن التوراة وفيما يتعلق بجغرافية فلسطين بالذات ليست مصدرنا الوحيد.

ما نعرفه حق اليقين من التاريخ الحديث والمعاصر، أن تفكير اليهود بشكل جدي في إقامة دولة لهم في فلسطين بدأ في منتصف القرن التاسع عشر، الأمر الذي تزامن مع ظهور الحركة الصهيونية العالمية والتي لعبت أول أدوارها في هذا الشأن سنة ١٨٧٨، عندما دعمت تأسيس أول مستوطنة يهودية شرق مدينة يافا الفلسطينية أطلق عليها اسم "بيت تيكفا" [בית תיקפה] - وتعني فتحة الأمل، تبع ذلك عمليات تأسيس أخرى لبلدات ومستوطنات يهودية تقوم على النشاط الزراعي في مناطق السهل الساحلي غرب فلسطين.

"قبل ظهور الحركة الصهيونية المنظمة في أواخر القرن التاسع عشر كان الإيمان بالعهد القديم (التوراة) لا يعدو أكثر من كونه ديناً وعقيدة، أما بعد ظهور الصهيونية أصبحت التوراة عقيدة وسياسة، ثم سرعان ما صار [منهجاً للبحث في الآثار والتاريخ]، لكل من يؤرخ لأرض فلسطين أو بلاد الشام، وانحصر اهتمام العلماء الصهاينة - والذين يدورون في فلكهم - بتقديم وثائق من التنقيبات الأثرية لإثبات أن فلسطين هي أرض

الميعاد التي وعد الله بها الشعب اليهودي، وإثبات وجود كيان يهودي قديم يحق للحاضر أن يوصله"^[١].

بدأت عمليات تأسيس وبناء المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين في سياق الجهود الصهيونية التي بُذلت تحت شعار **[العودة إلى أرض إسرائيل - أرض الميعاد]**، والذي أصبح شعاراً لمشروع قومي لكل يهود العالم، ساندته الدول الأوروبية وسخرت لأجله الكثير من الإمكانيات التي كانت تحظى بها المؤسسات الاستشرافية، التي حملت على عاتقها مهمة وضع الأسس المعرفية والتاريخية والجغرافية الأولى التي تستند إليها الادعاءات الصهيونية، بناءً على النص التوراتي.

"في الفترة (١٨٧١ - ١٨٧٧) تم تأسيس ما عُرف بـ "صندوق استكشاف فلسطين"، لرعاية وتمويل وتنفيذ عمليات مسح جغرافية وطبوغرافية جرت على الأرض الفلسطينية، بهدف جمع أسماء المواقع القديمة والخرائب والقرى التي ورد ذكرها في التوراة، وهي العمليات التي انتهت ببناء سجلات دقيقة لأكثر من عشرة آلاف اسم، ومن ثم اعداد خرائط مفصلة لكامل أرض فلسطين، من بينها خرائط بأسماء أماكن العهد القديم (التوراة)، وخرائط أخرى بأسماء أماكن العهد الجديد (الانجيل). وقد ساعدت نتائج تلك المسوحات - بحسب من قاموا بها - في تحديد أعداد كبيرة من الأماكن المذكورة في التوراة لم تكن مواقعها معروفة سابقاً (٦٢٢) اسماً توراتياً في غرب الأردن كان قد تحدد منها (٢٦٢) اسماً قبل عام ١٨٧٠"^[٢].

كما جرى تصميم منهجية خاصة لرسم الخرائط التي تُعين مواقع الأسماء التي ورد ذكرها في "العهد القديم"، وحدود مناطق الأسباط الإثني عشر، والخرائط التي أعدت من

[١]. محمد حسن شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، التاريخ، الآثار، الأعلام والأمكنة والرجال - الجزء الأول، الأهلالية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣. ص ٤٨، ٧٦.

[٢]. خيرية قاسمية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين (١٨٦٨ - ١٩١٥) مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، العدد (١١٢)، يوليو ١٩٨٠، ص ٨٣.

وجهة نظر مصمميها لـ "اقتفاء آثار الجيوش الغازية والهجرة القديمة"، بالإضافة إلى قراءة النقوش الباقية وفك رموزها"^[١].

كان صندوق استكشاف فلسطين في كافة الإصدارات الخاصة، يُعرف بأنه: "جمعية من أجل البحث الدقيق والمنظم في الآثار والطوبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد الأرض المقدسة لغاية التوضيح التوراتي"^[٢].

بالرغم من أن صندوق استكشاف فلسطين قد انطلق من فكرة دينية تهدف إلى دراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة، إلا أن حقول نشاطاته تعدت المسألة الدينية العلمية ودخلت بشكل مباشر في المسائل السياسية والاستعمارية. فكانت اجتماعاته غالباً ما تشير إلى فكرة "عودة اليهود"، كما أن أعماله قد شجعت بطريقة غير مباشرة عملية الاستيطان اليهودي بتقديم صورة مفصلة عن فلسطين^[٣].

منذ ذلك الوقت بدأت العملية التي وصفت دائماً بـ "استعادة صورة الأرض الفلسطينية في ضوء النص التوراتي" بشكل واسع، بحيث جرى التركيز بدرجة كبيرة على أسماء المناطق والمواقع والقرى والوديان والخرب والتلال والجبال.. الخ، مما يرد في النص التوراتي والبحث عنه في إطار المسوحات الأثرية والجغرافية التي استمرت بدون انقطاع منذ بدايات القرن التاسع عشر، وليس فقط من عند جهود صندوق استكشاف فلسطين، وكان من أهم أهداف هذه العمليات إعادة تسمية الأماكن بأسمائها التوراتية- أو بالأصح بأسمائها العبرية التي ترد في التوراة، وهي العمليات التي استمرت لاحقاً في مرحلة ما بعد قيام الدولة العبرية في فلسطين.

[١]. أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢. ص ٤٢.

[٢]. إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي: منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨. ص ٢٨٢.

[٣]. خيرية قاسمية: قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، العدد (٥)، تشرين الثاني، ١٩٧١. ص ١٦٤.

الجدير بالذكر، أن كل الجهود التي بذلت في هذا السياق، كانت تتجه أيضاً إلى إعادة خلق إسرائيل الجديدة بنفس الخطوات التي حددتها النصوص التوراتية والتي جرت بها نشأة وظهور إسرائيل القديمة، ترافق مع ذلك وضع بعض المعالجات التاريخية المفترضة التي تجعل من إمكانية مطابقة النشأة التاريخية لإسرائيل القديمة أمراً ممكناً في العصر الحاضر، بما في ذلك المعالجات المتعلقة بالعلاقات الدولية والإقليمية، وكيفية خلق المناخات الدولية والإقليمية المناسبة لتمكين إسرائيل من البقاء بشكل أبدي، وذلك من خلال التأكيد على المعالجات التاريخية والجغرافية، التي تتيح خلق فرص متعددة للقبول بمثل هذا الوجود للدولة الإسرائيلية في المنطقة العربية^[١].

منذ العام ١٩٤٨ بدأت بالفعل عملية تنفيذ "مشروع تهويد الأرض الفلسطينية"، من خلال إطلاق الأسماء التوراتية واليهودية على القرى والمدن وسائر المواقع الفلسطينية. إذ يشير الصحفي الإسرائيلي "توم سيغف" إلى أن أول ما أثّر بهذا الشأن، كان بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، عندما تصدرت مسألة تسمية مدينة يافا - التي سميت لاحقاً "تل أبيب"، مجال النقاش والخلاف بين الصهاينة المحتلين. فاقترح البعض أن يُعاد تسميتها بالصيغة العبرية [يافو] على أساس أن هذا الاسم ورد هكذا في التوراة، في حين أصرَّ البعض على تسميتها بـ "تل أبيب" ليكون الاسم موافقاً للتوجه الصهيوني، ومن ثم تم الاستقرار على الاحتفاظ بالاسمين [تل أبيب - يافا]^[٢].

في نفس السنة، جرى تشكيل "اللجنة الحكومية للأسماء"، والتي ضمت دائماً وحتى اليوم العديد من المتخصصين في التاريخ اليهودي والجغرافيا وبعض المستشرقين أيضاً ومهمتها دراسة أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، ووضع بدائل عبرية للأسماء العربية، وبالفعل بدأت هذه اللجنة أعمالها، فكانت تصدر سجلات وقوائم لأسماء المناطق

[١]. سيكون لهذه الفكرة شأن مهم وبالغ الأهمية في الفصول القادمة، من حيث تقودنا مسارات هذه الدراسة صوب مناقشتها على نحو من التفصيل. وسوف يساعدنا إدراك خفايا الأهداف الكامنة وراء نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، في الوصول إلى حقائق ما كانت تخطر على بال. (الباحث)

[٢]. توم سيغف: الإسرائيليون الأوائل ١٩٤٩، ترجمة: خالد عايد وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٦. ص ٣٠٧.

والمواقع العربية وما حل محلها من الأسماء العبرية كما قررتها اللجنة، وتنتشرها في الصحف والنشرات الرسمية الإسرائيلية باللغتين العبرية والعربية، فضلاً عن إرسالها إلى الجهات المعنية، وعلى رأسها مجالس السلطة المحلية في القرى والمستوطنات والمواقع التاريخية والخرب، والمناطق الطبيعية، وفي المعالم الجغرافية الخاصة كالأنهار والعيون والآبار والسهول والجبال والتلال والمغارات والطرق والجسور.. الخ^[١].

كما سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى تصميم خارطة معدلة للخارطة التي وضعتها حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٤٤ بمقياس (١: ١٠٠,٠٠٠)، وبلغ عدد أجزائها (١٦) جزءاً لكنها لم تشمل منطقة النقب. فلجأت إدارة المساحة الإسرائيلية إلى زيادة (٨) أجزاء على هذه الخارطة لتتلافى النقص في خارطة الانتداب، ثم أجرت تعديلات على أطوال الأجزاء، فصدرت الخارطة الكلية بمجموعة من (٢٦) جزءاً وبمقياس الرسم ذاته، شاملة جميع المناطق من أقصى الشمال حتى إيلات على البحر الأحمر. وكانت الطباعات الإسرائيلية المتعاقبة لهذه الخارطة تحمل الأسماء العبرية التي تم إطلاقها على الأماكن الفلسطينية. وفي العام ١٩٩٦ صدر في إسرائيل "أطلس الطرق بمقياس رسم (١: ١٠٠,٠٠٠) على شكل كراس مكون من نحو (١٠٠) صفحة متضمناً بالمثل الأسماء العبرية للطرق والمعالم المذكورة في هذا الأطلس^[٢].

على صعيد أوسع، اتجهت الحكومة الإسرائيلية نحو تعميم خرائطها على المجتمع الدولي، فتقدمت إلى المؤتمر الدولي لتوحيد المصطلحات الجغرافية الذي انعقد في جنيف في سبتمبر من العام ١٩٦٧ بمذكرة طالبت فيها بإحلال الأسماء العبرية محل الأسماء العربية الأصلية للمواقع العربية في فلسطين، وتعاونت إسرائيل مع الهيئات الدولية ودور نشر الأطالس والكتب الجغرافية في العديد من المؤسسات المنتشرة في دول العالم (٢٢) لتكريس ذلك الإحلال. كما جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية تضمنت تسميات

[١]. إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية - دراسة ودليل، منشورات اتحاد الكتاب

العرب، دمشق، ٢٠٠١. ص ٧٧.

[٢]. المرجع السابق، ص ٧٨.

عبرية لغالبية معالم البلاد، منها مثلاً: أطلس إسرائيل الموسوعة اليهودية، موسوعة الصهيونية، وإسرائيل كل البلاد، المعجم الجغرافي لإسرائيل، الدليل السياحي بمختلف اللغات، وغير ذلك من الكتب والمؤلفات والأعمال الدعائية التي نشرت في فلسطين المحتلة وخارجها^[١].

السؤال الذي يجب أن يُطرح هنا، هو: على أي أساس ووفق أي منهج بالضبط جرت عملية تغيير أسماء المناطق الفلسطينية العربية وتحويلها إلى أسماء عبرية، إذا كان الأمر متصلاً بالأصل بالأسماء الواردة في التوراة العبرية؟!

الجواب - بكل بساطة، هو: من خلال تطبيق [منهج دراسة التحولات اللغوية للأسماء في ضوء الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة].

لقد استخدم هذا المنهج من قبل المستشرقين وعلماء التاريخ والآثار التوراتيين في هذه العملية، من حيث جرى التأكيد على أن معظم الأسماء العربية في فلسطين - إن لم يكن كلها - ما هي إلا أسماء تحورت عبر مسارات متعددة، تعرضت فيها للتحولات اللغوية التاريخية من أصولها العبرية إلى اللغة العربية، ولكن دون أن تتخلى هذه الأسماء عن جذورها العبرية، وبالتالي فإن منهج المقارنات اللغوية للأسماء بين اللغات يمكن أن يساعد في استعادة هذه الجذور والصور العبرية الأصلية لتلك الأسماء.

يطالبنا هذا التوصيف ألا ننظر إلى عملية تهويد الأسماء التي قام بها اليهود والمستشرقين ومن لفّ لفهم باعتبارها تحريفاً أو تزويراً، كما لا يجب أن يفهم بأنها كانت كذلك، لأن هذه العملية - حسب ما يقول اليهود طبعاً - جرت وفق منهج لغوي علمي رصين ومعترف به في كل الدوائر الأكاديمية والعلمية في العالم بأسره، وقد جرى تنفيذها وتطبيقها على هذا الأساس بهدف إعادة الأسماء الأصلية فقط لا أكثر^[٢]!!..

[١]. المرجع السابق، ص ٧٨ - ٧٩.

[٢]. إنه الكلام نفسه الذي قاله أصحابنا رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب. على نحو ما قاله "زياد منى": [ما يحق لغيرنا يحق لنا].

هذا التوضيح بالذات، تنبأه المستشرقون والمؤرخون وعلماء الآثار التوراتيون. فقد كرس له الباحث الاسرائيلي "ميرون بنفستني" فصلاً كاملاً من فصول كتابه "المقذوف والعصا". والذي أكد فيه على أن رسم خارطة وتحديد أسماء يعنيان عملاً لامتلاك شيء، وكل مجتمعات مكون من المهاجرين، حاولنا أن نمسح من خارطة البلاد الأسماء الغريبة ونعيد الأسماء الأصلية التي حملناها في قلوبنا طوال مئات السنين التي كان اليهود فيها مهجرين بعيداً عن أرض أجدادهم. وقد صنع سكان البلاد العرب معروفاً معنا وحافظوا على الأسماء القديمة، وإلا فكيف كنا سنعرف أين هي "عنتوت" لولا "عنااتا"، وكيف كنا سنجد "شيلوح" لولا خربة "سلوان"^[١].

لنتوقف هنا، ولنحكم عقولنا ونتكلم بمنطق الحق والحقيقة بدون مرأى أو خوف، ولنكن منصفين بحق الله. أليس هذا هو منهج الصليبي ورفاقه؟ أليست هذه هي حججهم وتفسيراتهم لما قاموا به؟ ألم يقولوا لنا أنهم اتبعوا مناهجاً لغوية تستند على أسس علمية رصينة، ساعدتهم في رصد وتتبع مسارات التحولات اللغوية لأسماء المناطق الجغرافية في عسير وغامد واليمن من الجزيرة العربية، وأن تلك الأسماء كانت في الأصل عبرية، وأنها مع الزمن وبسبب عوامل التاريخ حدث أنها تحولت إلى أسماء بصياغات عربية، ولكنها مع ذلك حافظت على جذورها العبرية، وأنه لولا أن تلك الأسماء حافظت على جذورها لما أمكن اكتشاف جغرافية التوراة الحقيقية؟! أليس هذا كلامهم الذي اثبتناه قبل صفحات قليلة من هنا؟!

نعم إنه هو بلا أدنى شك، ولا داعي للمزايدة. فهذه هي الحقيقة ولا مجال لإنكارها.

يبقى أن نتعرف على النموذج التطبيقي الذي اتبعه مشروع تهويد الأرض الفلسطينية، من ناحية الطرق والآليات اللغوية التي اتبعها القائمون به في تحويل الأسماء الجغرافية العربية إلى أسماء عبرية؟

[١]. المرجع السابق، ص ٧٩.

[3]

تزوير أم منهج علمي؟!

تورط رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب بصورة صريحة وضمنية في الإقرار بمصادقية النص التوراتي، ما دفعهم الى إطلاق العديد من الأحكام الجذافية، وساهموا بدرجة كبيرة في توسيع وتعميق الهوة التي تفصل بين جهودهم من ناحية، وبين المنطق العقلاني والقواعد المنهجية والموضوعية التي يتطلبها الموقف العلمي الباحث والناقد من جهة أخرى، فجاءت نظريتهم بعيدة ومنفصلة تماماً عن النقلة التي أحدثها علم الآثار في العقود الأخيرة إزاء المسألة التوراتية. كما تورطوا على نحو ممل في الحشد لنظريتهم والإغراق في تقديم الاستدلالات اللفظية واللغوية دون التوقف للحظة لمراجعة آرائهم وممارسة النقد الذاتي عليها، حتى بدت جهودهم وهي تصب في اتجاه استثمار نظريتهم بصورة دعائية صاحبها التكرار المثير للسأم، أكثر ما أنها تصب في سياق تحقيق الإضافة العلمية المطلوبة.

إنه لما يبعث على الحزن أن فريقاً من الباحثين العرب ممن لديهم الطاقات والامكانيات المميزة والمذهلة في مجال البحث والانتاج العلمي، استطاع بكل سهولة أن يُشكّل جبهة مضادة لعلم الآثار وجهوده النقدية البالغة الجرأة والشجاعة، من حيث سخر هذا الفريق جهود جميع أفرادهم بانحياز واضح الى جانب النص التوراتي وفي صفه، ضارباً عرض الحائط بجهود قرن كامل من الزمن هدفت الى تحرير علم التاريخ وعلم الآثار من سطوة الرواية التوراتية، ودون أن يلتفت لمنتقديه أو يتقبل النقد، أو يفتح أبواب النقاش العام فيما طرحه، فحتى الآن لم تُطرح هذه النظرية للنقاش الجاد والمفتوح بين روادها وبين سائر المهتمين والمتابعين والنقاد والقراء.

المهم، وإمعاناً في إثبات النتيجة التي لم نبتعد عنها أكثر من عدة سطور وهنياهات قصيرة من الزمن، لابد من التحقق من الطرق والأساليب التي اتبعها اليهود في استعادة أسماء مناطق فلسطين على ما كانت عليه -حسب ما يعتقدون- في التوراة وفي العصور القديمة، والتحقق

أيضاً من كونها مطابقة للطرق التي اتبعها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، أم لا.

الاستناد الرئيسي الذي لجأ إليه المستشرقون والمؤرخون الاسرائيليون في تغيير أسماء المناطق الفلسطينية، هو افتراض أن الكثير من تلك الأسماء التي وردت في التوراة، لابد وأن تكون موجودة وحافظت على نفسها وعلى جذورها العبرية حتى بعد أن جرت عملية تعريبها على مدى قرون طويلة، مثلاً:

[الأردن] (عربية) ——— أصلها هو ——— [ها- يردن] (عبرية)

باستبدال (أل) التعريف العربية بأداة التعريف العبرية (ها)، وقلب الألف ياء وهذا قلب معروف وثابت لغوياً، كما أكد على ذلك الصليبي والدبش والجثام وداوود.. الخ.

[عكا] (عربية) ——— أصلها هو ——— [عكو] (عبرية)

[يافا] (عربية) ——— أصلها هو ——— [يافو] (عبرية)

بقلب الألف واو، وهذا قلب معروف وثابت لغوياً كما أثبت ذلك الصليبي ورفاقه.

[الناصره] (عربية) ——— أصلها هو ——— [نصريت/ نتسريت] (عبرية)

بمطابقة جذر الكلمة (ن ص ر)، وقلب حرف الصاد سين، وتحويل التاء المربوطة (تاء التأنيث العربية) الى (تاء) التأنيث العبرية، وهذه قاعدة طبقها الصليبي ورفاقه أيضاً.

على هذا النحو بالضبط جرى تحويل الأسماء العربية للمناطق الفلسطينية الى أسماء عبرية مطابقة لما جاء في التوراة، والأمر لم يتم جزافاً بل تم وفق منهج لغوي رصين يعترف به كل الباحثين في هذا الاختصاص، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم دوماً رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب.

الجدير بالتنويه هنا، هو أن قوائم أسماء الأماكن الفلسطينية التي سوف ترد في السياق أدناه، تتضمن عدداً ليس بالقليل من أسماء الأماكن التوراتية، كما أن منها ما لم يرد فيها.

إن الهدف من عرض سلسلة طويلة نسبياً من أسماء المناطق الفلسطينية ومقابلاتها العبرية التي حوّلت إليها، هو إبراز الطرق والآليات التي جرت بها عملية تهويد الجغرافية الفلسطينية في العصر الراهن والنتائج التي أسفرت عنها، وهي العملية التي يمكن القول بأنها حدثت لأول مرة على أرض الواقع بالطريقة التي جرت بها. فكل الادعاءات التي روج لها رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب بشأن عمليات مشابهة حدثت قبل القرن التاسع عشر، ليست صحيحة على الإطلاق، وإلا لكان الأولى بهم أن يبينوها لنا.

جرى اختيار جميع الأمثلة من قبل الباحث بما يتلاءم وهدف الدراسة، ولم يكن مناسباً الخروج عن جادة هذا الهدف. فهناك بالفعل الكثير من الأمثلة والنماذج التي تظهر حجم التعسف الذي مارسه الكيان الاسرائيلي في طمس المعالم الإسمية للمواقع والمناطق الجغرافية الفلسطينية العربية، خاصة تلك التي لم ترد في التوراة والتي عمد الى طمس غالبيتها واطلاق تسميات عبرية لا علاقة لها بالأسماء الأصلية، ولا تُحيل إليها لا باللفظ ولا بالمعنى في العبرية، ولمن أراد التوسع فعليه بالعودة الى الدراسة والدليل الذي أعدهما الباحث الفلسطيني "إبراهيم عبد الكريم" [تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية - دراسة ودليل] - وهو المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذا الجانب.

جدول (٣): نماذج تحويل أسماء بعض المناطق الفلسطينية العربية الى أسماء عبرية
باستخدام طريقتي القلب والاستبدال

الموقع التقريبي للمكان	الاسم العبري	الاسم العربي
وسط الجليل الأعلى الشرقي	تسفات	صفد
الساحل الشمالي لفلسطين	عكو	عكا
على الشاطئ الغربي لبحيرة طبرية	طفرياه	طبرية
وسط الجليل الأسفل	نتسيريت	الناصرة
وسط غور نهر الأردن	بيت شان	بيسان
الساحل الفلسطيني الأوسط	كيساري	قيسارية
منطقة حيفا	شفارعام	شفاعمرو
السهل الداخلي الجنوبي (مقاطعة عسقلان)	لخيش	لاشيش
الساحل الساحلي الأوسط	يافو	يافا
الساحل الساحلي الجنوبي	أشدود	اسدود
السهل الساحلي الجنوبي	اشكلون	عسقلان
السهل الداخلي الأوسط	رملاه	الرملة
السهل الداخلي الأوسط	لود	اللد
السهل الساحلي، جنوب حيفا، شمال غرب طولكرم	حديرا	الخضيرا
شمالي الضفة الغربية	شكيم	نابلس
شمالي الضفة الغربية	جنيم	جنين
جنوب القدس	بيت ليحيم	بيت لحم
جنوبي الضفة الغربية	حبرون/ حفرون	الخليل
شمالي النقب	بير شيفع	بئر السبع

الجليل الأعلى	خربة نبورياه	خربة نبرتين
الجليل الأسفل	خربة منوريم	خربة المنارة
الجليل الأسفل	خربة مشكنة	خربة المسكنة
النقب الجنوبي	هار برك [هار بالعبرية تعني: جبل]	جبل أباريك
النقب الجنوبي	هار درجا	جبل الدرج
النقب الأوسط	هار رحاماه	جبل الرحمة
لنقب الأوسط	هار نفحاه	جبل طوال النفخ
منطقة غزة	هارور	تل أبو هريرة
	سيرع	تل الشريعة
	شيحان	تل سيحان
منطقة بيسان	ملحاه	تل المالحة
شرق حيفا بنحو ١١ كم	أونو	كفر عانة
شرق حيفا بنحو ١٥ كم	أوشاه	هوشة
جنوب شرق يافا بنحو ٦ كم	أزور	يازور
جنوب شرق الرملة	بورجاتا	البرج
جنوب غرب بحيرة طبرية	بورياه	بورية
الجليل الأعلى الشرقي، شمال صفد بنحو ٢ كم	بيرياه	بيرية
شمال غرب الخليل بنحو ٢٣ كم	بيت جوفرين	بيت جبرين
جنوب شرق يافا بنحو ١٠ كم	بيت داجون	داجان/ بيت دجن
النقب الشمالي، جنوب شرق غزة بنحو ١٣ كم	بيت هجدي	خربة الجندي
سهل عكا، قرب الحدود مع لبنان.	بتسيت	البصة

كفر برعم	برعام	الجليل الأعلى، شمال غرب صفد بنحو ١٢ كم
الجية	جئاه	السهل الساحلي الجنوبي، جنوب شرق عسقلان بنحو ٥ كم
جبع	جيفع كرم	جنوب حيفا بنحو ٢٠ كم
جت/ جوت (جت ويانوح)	جيتا	الجليل الأعلى، شمال شرق عكا بنحو ١٥ كم
اجليل	جليلوت	شمال شرق يافا بنحو ١٢ - ١٤ كم
اجليل	جليل يام	شمال شرق يافا بنحو ١٢ - ١٤ كم
جمزو	جمزو	جنوب شرق اللد بنحو ٥ كم
دلاته	دالتون	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ٦ كم
خان الدوير	دان	أقصى شمالي الحولة، بجوار الحدود مع سورية
دفنة	دافناه	شمالي شرق الحولة، مقابل تل العزيرات
الطنطورة	دور	ساحل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ٢٣ كم
ديشوم	ديشون	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ١٢ كم
زخريا/ زكريا	زكاريا	شمال غرب الخليل بنحو ٢٥ كم
زمارين	زخرون يعقوب	زمارين السهل الساحلي، جنوب حيفا بنحو ٢٩ كم
زرنوقه	زرنوقاه	جنوب غرب الرملة بنحو ١٠ كم
حانوتا	حانيتا	قرب الحدود مع لبنان، شرق رأس الناقورة بنحو ٧ كم
الحديثة	حديد	شمال شرق اللد بنحو ٤ كم
ياقون	حوكوك	الجليل الأسفل الشرقي، جنوب صفد بنحو ١٢ كم

حميدية	حمادية	شمال بيسان بنحو ٥ كم
طيرة/ حيفا	طيراه، طيرات هكرمل	على السفوح السفلى لجبل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ٧ كم
ياجور	ياجور	جنوب شرق حيفا بنحو ١٠ كم
زرعين	يزرعيل	مرج ابن عامر، شمال شرق جنين بنحو ١٠ كم
قاقون	يكون	شمال غرب طولكرم بنحو ٦ كم
الكابري	كابري	الجليل الأعلى الغربي، شمال شرق عكا بنحو ١٥ كم
كوكب الهوا	كوخاف هيردن	شمال بيسان بنحو ١٠ كم
كوكبا	كوخاف ميخائيل	السهل الساحلي الجنوبي، جنوب شرق عسقلان بنحو ١٠ كم
كسلا	كسالون	غرب القدس بنحو ١٧ كم
كفريتا	كفر أتا	سهل عكا، شرق مدينة حيفا بنحو ١١ كم
دانيال	كفر داثيل	شرق الرملة بنحو ٦ كم
كفر سابا	كفر سابا	السهل الساحلي، شمال شرق يافا بنحو ٢٠ كم
ساقية	كفر ساكيا	شرق يافا بنحو ٨ كم
عافر	كفار عقرون	جنوب شرق يافا بنحو ٢٢ كم
لوبية	لافي	غربي طبرية بنحو ١٢ كم
بتير	مافو بيتار	جنوب غرب القدس بنحو ١٢ كم
المدية	مافو موديعيم	خربة زكريا شرق الرملة بنحو ١٠ - ١٢ كم
المجدل	مجدال	شمال مدينة طبرية بنحو ٦ كم
أم الفحم	مي عامي	شمال غرب جنين بنحو ١٧ كم
المالكية	ملكياه	الجليل الأعلى الشرقي، شمال صفد بنحو

١٥ كم		
جنوب مدينة طبرية بنحو ٢ كم	منوراه	المنارة
جنوب غرب القدس بنحو ٥ كم	منحات (منح = ملح)	المالحة
السهل الساحلي الجنوبي، جنوب غرب الرملة بنحو ٢٤ كم	مشميع شالوم	المسمية الكبيرة
أقصى الجليل الأعلى الشرقي	متولا	المطلة
السهل الساحلي، جنوب الرملة بنحو ٨ كم	ناعن/ نعن	نعاني
شمال شرق جنين بنحو ١٠ كم	نوريت	نورس
شمال غرب الخليل بنحو ١٨ كم، قرب بيت جبرين	نحوشاه (= نحاس)	دير نحاس
شمال غرب الخليل بنحو ٢٠ كم	نتيف هلميدي	بيت نتيف
الجليل الأعلى، شمال غرب صفد بنحو ١٢ كم	ساسا	سعسع
شرق يافا بنحو ٥ كم	كفار شاليم	سلامي/ سلمة
الجليل الأعلى الشرقي، شمال غرب صفد بنحو ٧ كم	سفسوفاه	الصفصاف
شمال غرب الخليل بنحو ٢٥ كم	عجور موشاف	عجور
عند الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية	عين جيف	النقيب
الجليل الأسفل، جنوب شرق الناصرة بنحو ١٢ كم	عين دور	اندور
جنوب حيفا بنحو ١٤ كم	عين هود	عين حوض
الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ٤ كم	عين زيتيم	عين الزيتون
غرب القدس بنحو ٧ كم	عين كيرم	عين كارم
الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ١٠ كم	علماه	علما
شمال شرق عكا بنحو ١٢ كم	عمكاه	عمقا

العفولة	عفولاه	مركز مرج ابن عامر، جنوب الناصرة بنحو ١٠ كم
عتليت	عتليت	جنوب جبل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ١٥ كم
فطيس	باطيش / فاطيش	النقب الشمالي، شمال غرب بئر السبع بنحو ٢٥ كم
فراضية	بارود / فارود	الجليل الأعلى، جنوب غرب صفد بنحو ٧ كم
البقيعة	بكيعين حداشا	الجليل الأعلى، شمال شرق عكا بنحو ٢٥ كم
فرديسيا	برديسيا	السهل الساحلي، جنوب غرب طولكرم
صوبا	تسوبا	غرب القدس بنحو ١٠ كم
صفورية	تسيبوري	الجليل الأسفل، شمال الناصرة بنحو ٧ كم
سمخ	تسيمح	عند الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية
صرفند	تسيروفاه	جنوب حيفا بنحو ٢٠ كم
السافرية	تسفرياه	جنوب شرق يافا بنحو ١٢ كم
صرعة	تسرعا	غرب القدس بنحو ٢٥ كم
القسطل	كاستل / قاسطل	غرب القدس بنحو ٧ كم
شارونة	شاروناه	الجليل الأسفل الشرقي، جنوب غرب طبرية بنحو ١٠ كم
الجارور	جرار	وادي يصب في وادي العريش
عرعرة	عروعر	جنوب شرق بئر السبع
قطنة	كطناه	منطقة صفد، شرق قرية مغار الخيط المدمرة

المصدر: إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية - دراسة ودليل، مرجع سابق، ص ٨٥، ودليل الدراسة ص ١٠٢ وما بعدها

جدول (٤): نماذج تحويل أسماء المناطق الفلسطينية العربية الى أسماء عبرية
 باستخدام طريقة نقل الاسم بالمعنى

الموقع التقريبي للمكان	الاسم العبري	الاسم العربي
منطقة النقب	هار جوفاي (جوفاي = جرادة)	جبل جرادة
	هار تسياذ (تسياذ/ تصياذ = قناص)	جبل رجم القناصية
	هار ريخف (ريخف/ ريكب/ ركب = مركبة)	جبل الراكب
	هار شحوروت (شحوروت = أسود)	جبل السويدي
	هار تسافواع (تسافواع = ضبعة)	جبل رجم الضبعة
	تيفن (تيفن = تين/ تيان)	وادي التبان
منطقة الجليل الأعلى	هار راحيف (راحيف/ راحيب = واسع)	تل رحيب
منطقة غزة	تل كيشث (كيشث = قنطرة)	تل القنيطرة
منطقة سهل الكرمل	عين إيلاه (إيلاه = أيله = غزالة)	عين غزال
المصدر: إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية - دراسة ودليل، مرجع سابق، ص ٨٦.		

قبل الخلوصل الى نتيجة أخيرة، يجدر التأكيد على أن الكثير من الباحثين الفلسطينيين والعرب قد تنبهوا منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي للأرض الفلسطينية وبداية مشروعات التهويد والجرف التاريخي والجغرافي للمعالم العربية فيها، لمخاطر وأهداف هذه المشروعات. فبدلوا جهوداً جبّارة للتصدي لها ومواجهتها، فضلاً عن الجهود الرسمية التي بذلت من قبل الجامعة العربية، فقاموا بتوثيق الأسماء والمعالم الجغرافية والتاريخية والأثرية العربية بطرق شتى، وجرى إعداد المعاجم والأدلة والدراسات المعجمية واللغوية لتوثيق صورة الأرض الفلسطينية كما كانت

قبل تحريفها وتهويدها من قبل الكيان الاسرائيلي، كما لا ننسى كتب البلدانيات والمعاجم التراثية التي خصت فلسطين والشام بالكثير من الاهتمام، فسجلت ووثقت أسماء المناطق في عصور تاريخية مختلفة، وأيضاً هنالك الكثير من الوثائق الإدارية للمجالس البلدية في عصر الدولة العثمانية، والتي يمكن الرجوع إليها للمقارنة والبحث وتقصي الحقائق بشأن أسماء المناطق الفلسطينية وعلاقتها بما ورد منها في التوراة.

هكذا، فسواء جرى الأمر على النص التوراتي أو على الأرض، فلن يخرج الأمر كلياً عن نطاق الفكرة التي تكونت لدينا عن [منهج دراسة التحويلات اللغوية] - وهذا فقط فقط فقط إذا قبلنا بهذا المنهج كأساس للاستدلال التاريخي والجغرافي.

إننا في موقف يفرض علينا أن نُحكّم العقل والمنطق، وألا نبحت عن أعذار أو أن نتهرب من مواجهة الحقيقة بتفسيرات واحتجاجات جانبية واهية. لا بد من اصدار حكم بشأن ما إذا كان الأمر الذي قام به رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب من جهة، وما قام به اليهود أصحاب نظرية جغرافية التوراة في فلسطين من جهة أخرى، يُعدّ عملاً منهجياً علمياً جائزاً ومشروعاً أم أنه تزوير وتحريف للحقائق وتضليل لها وعنها.

لقد ثبت لنا فيما تقدم نظرياً وعملياً، أن العمل واحد والمنهج واحد والرؤية والمنطلقات واحدة، اتفق عليها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب واليهود أصحاب مشروع تهويد الأرض الفلسطينية، بما يعني أن اصدار أي حكم بشأنهم جميعاً يلزم بأن يكون حكماً واحداً على الطرفين. فإذا قبلنا بفكرة المنهج العلمي لدى الرواد العرب، فهذا يعني أننا نعتترف بأن ما قام به اليهود هو أيضاً عمل منهجي وعلمي، وإذا حكمنا على ما قام به اليهود بأنه تزوير وتحريف للحقيقة، فهذا يعني أننا نصدر نفس الحكم على ما قام به الباحثين العرب.

على كل حال، سواء حكمنا بأن الأمر هو تطبيق لمنهج علمي، أو بأنه محض شعوزات اشتقاقية لغوية كما قضى بذلك الباحث الفرنسي "بيير روسي"، فإن النتيجة في كلا الحالتين واحدة، وهي [سقوط نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب]. فبغض النظر عن حالات التعسف التي قام بها باحثونا العرب وقام بها كذلك منفذو مشروع تهويد الجغرافية الفلسطينية من

اليهود، فإن قبولنا بفكرة المنهج اللغوي هو قبول بأن ما قام به اليهود هو عمل منهجي، يمكن عكسه لإعادة أسماء المناطق الفلسطينية المهودة الى أصولها العربية السابقة، وفي هذا اقرار أيضاً بوجود الكثير من الأسماء التوراتية على خريطة الأرض الفلسطينية بالفعل، بما يسقط ويفند نظرية الباحثين العرب.

أما إذا اعتبرنا أن ما قام به اليهود يعد من قبيل التزوير فلا بد أن يكون هذا الحكم واقعاً على ما قام الباحثون العرب أيضاً، وبه تسقط نظريتهم، لأنه ينطوي على إثبات حقيقة كم أنه من الصعب جداً الركون والاعتماد على القرائن اللغوية، وعدم صلاحيتها لأن تحل محل الدليل الأثري، وحينها لن يبقى أمامنا سوى الاحتكام الى نتائج علم الآثار لحسم المسألة برمتها.

وحتى يتفضل أحد رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، ويبين لنا الفرق بين المنهج والتزوير، فإني أترك الحكم لكم اعزائي القراء..

على وعد باللقاء في الفصل الرابع من الدراسة...